حين مروا على حواجز القهر

تقرير حول الانتهاكات التي تمارسها حواجز النظام السوري في مدينة حمص

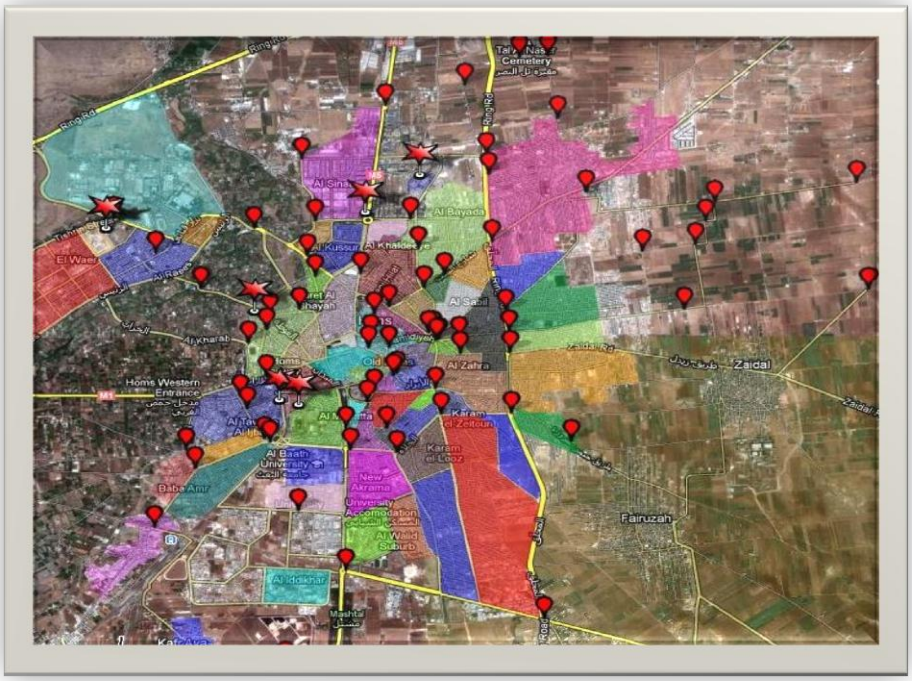

إصدار مجموعة فتيات من أجل السلام

حمص ٨-٨-٢٠١٤

مجموع فتيات من أجل السلام، مجموعة تأسست في محافظة حمص، بهدف توثيق جرائم وانتهاكات حقوق الإنسان في حمص، خاصة بعد أحداث الثورة السورية.

المحتويات:

أولاً: واقع الحواجز العسكرية في مدينة حمص حالياً	5
ثانياً: التعامل المسيء للناس على الحواجز	7
ثالثاً: الاعتقالات بدون ذنب	11
رابعاً: منع التنقل والحركة	14
خامساً: القنص والقتل العشوائي	17
سادساً: التوصيات	20

مقدمة:

تعتبر الحواجز النظامية والحواجز الثابتة من أولى الإجراءات الاحترازية التي اتخذها النظام السوري في بداية الحراك الشعبي للحيلولة دون اندلا ع الاحتجاجات ولتقييد حركة المعارضين ومنعهم من تنظيم أنفسهم، وقد عانى المواطنون السوريون صنوفا شتى من الانتهاكات على تلك الحواجز من الاعتقال التعسفي ومنع التنقل والحط من الكرامة والقنص والخطف والاعتداء اللفظي والجسدي، حيث انتشرت الحواجز في جميع أحياء المدينة لتبدو وكأنها ثكنة عسكرية محصنة يكون فيها المواطنون مقيدين في كل تحركاتهم، وقابعين تحت وطأة قهر وخوف مستمر من خطر داهم ومفاجئ قد يتعرضون له في أية لحظة دون أن يملكون لردّه سبيلاً.

لا يقتصر تواجد حواجز النظام السوري على الأحياء المعارضة للنظام، بل يمتد تواجدها إلى الأحياء الموالية له مع الاختلاف الكبير في مهام كل منها، وطريقة تعامل عناصر الحواجز مع المواطنين، ففي الأحياء الموالية، نجد المواطنين هناك يتجولون قرب الحواجز من دون خوف، ويعتبرون الحواجز مصدر حماية لهم من تعرضهم لهجمات "الإرهابيين"، كما يصفونهم، ويلقون بالمسؤولية على عناصر تلك الحواجز عند كل اختراق أمني يحدث في أحيائهم، فمهام الحواجز النظامية في الأحياء الموالية حماية المواطنين، وتوفير سبل الأمان لهم في ظل ظروف الحرب التي يعيشونها، بينما يعتبر المواطنون في الأحياء المعارضة، أن مهام الحواجز النظامية، هي مراقبتهم وانتهاك حقوقهم من اعتقال وخطف وقنص وحط للكرامة إن هم أبدوا أدنى إشارة تشير لمعارضتهم للنظام، أو حتى لمجرد الشبهات على ذلك.. كما تمارس هذه الحواجز مهمة حصار الأحياء، ومنع إدخال الطعام والشراب والدواء والسلع اللازمة للحياة إلى مختلف مناطق حمص، بما فيها حي الوعر المحاصر حالياً.

وعلى الرغم من أن حمص المدينة أصبحت بشكل شبه كامل تحت سيطرة النظام، لاسيما بعد خروج المعارضين المسلحين من المدينة القديمة إلى الريف منذ عدة أشهر، وخلوّ معظم أحياء المدنية من المعارضين المسلحين بشكل تام، واقتصارها على المدنيين، إلا أنّ تواجد الحواجز داخل المدينة بقي مستمرا، وبقيت معه الانتهاكات المتواصلة التي يمارسها عناصر النظام على المارين من تلك الحواجز، تلك الانتهاكات التي تظهر بشكل جلي في حي الوعر تحديدا، حيث أنّ الوعر هو الحي الوحيد المتبقي في المدينة الذي يقع تحت سيطرة المعارضين المسلحين بشكل جزئي، ويحاصره النظام من جميع الجهات بالحواجز والقناصين، ليستخدم النظام تلك الحواجز كعقاب جماعي للأهالي على احتضانهم المعارضين المسلحين، وليمارس النظام من خلال عناصره المتواجدين هناك، انتهاكات بالجملة.

وقد حرص العاملون على هذا التقرير على توثيق شهادات متعددة، من مواطنين سوريين يعيشون داخل الأحياء الواقعة تحت سيطرة النظام، ومن مواطنين يعيشون داخل حي الوعر المحاصر، ورصدنا من خلال شهاداتهم، صنوف الانتهاكات التي تعرضوا لها على مدى الشهور الأخيرة الممتدة منذ سقوط المدينة القديمة وإلى زمن كتابة التقرير، الذي تضمن توثيقاً لأهم الانتهاكات التي تقوم بها هذه الحواجز يومياً.

أولاً: واقع الحواجز العسكرية الحالي في مدينة حمص

لقد قام النظام في الفترة الأخيرة بسحب عدد من عناصره الموجودين على الحواجز، ربما يعود الأمر لحاجته لمقاتلين على الجبهات المشتعلة في مختلف أنحاء البلاد خاصة بعد خروج المقاتلين المعارضين من حمص المدينة نحو الريف، بعد الاتفاق الذي جرى مؤخراً.

تتوزع الحواجز العسكرية في مختلف أنحاء المدينة، وتحاصر حي الوعر بشكل كامل بمشاركة قوات من ميليشات شيعية من قرية المزرعة والزرزورية بالإضافة إلى عدد من الأليات العسكرية المنتشرة في مناطق البساتين، وهنا جدول بأبرز الحواجز العسكرية في مدينة حمص في الوقت الراهن:

الحمرا	حاجز سامسونغ (إشارة الملعب)	الأمن السياسي
الحمرا	حاجز الشبيبة- قرب مسجد عمر	أمن الدولة
الغوطة	الشاطر حسن – شارع الغوطة	أمن الدولة
الغوطة	دوار الغاردينيا	أمن الدولة
الدبلان	عدة حواجز في شارع الدبلان	أمن الدولة
الغوطة	حواجز طيارة على شارع الكورنيش	متنوعة
الغوطة	فرع أمن الدولة	أمن الدولة
الانشاءات	فرع الأمن السياسي	الأمن السياسي
الانشاءات	شارع البرازيل	الأمن السياسي
الانشاءات	فندق السفير	الأمن السياسي
الميدان	فرع أمن عسكري	الأمن العسكري
الميدان	مؤسسات الدولة	أمن عسكري
الميدان	مركز ثقافي	أمن عسكري
طريق الشام – كرم الشامي	طول الطريق عدة حواجز	أمن عسكري
الخضر	الجيش الشعبي	أمن عسكري

طريق الشام	دوار خالد بن الوليد (الرئيس سابقاً)	أمن عسكري
الخضر	منطقة التماس مع عكرمة أكثر من حاجز	أمن عسكري
طريق الشام	رزق سلوم	شبيحة
باب السباع	الفارابي	شبيحة و أمن عسكري
باب السباع	حاجز القلعة	من عدة فروع
مركز المدينة	عدة حواجز	من عدة فروع
الوعر	حاجز الفرن	أمن الدولة
الوعر	الشؤون الفنية	أمن الدولة
الوعر	القواص	أمن الدولة
الوعر	شارع الكلية الحربية نحو المنطقة الصناعية	المخابرات الجوية
الوعر	حاجز المصفاة	أمن دولة وشبيحة
الوعر	حاجز المزرعة	ميليشيات شيعية
الوعر	حاجز الخراب	أمن دولة

بالإضافة إلى عدد أخر من الحواجز التي تم وضعها داخل الأحياء التي خرج منها مقاتلو المعارضة قبل أكثر من ثلاثة أشهر، وتقوم هذه الحواجز بعدد واسع من الانتهاكات.

الصورة رقم (١) برج الغارديني أكبر برج قنص للنظام، يطل على كامل المدينة

ثانياً: التعامل المسيء للناس على مختلف الحواجز في المدينة

تقوم الحواجز العسكرية بإهانة المواطنين العابرين لها بشكل كبير حتى بطريقة التفتيش فبالنسبة **للنساء** يوجد على جانب حاجز الفرن الآلي في حي الوعر، غرفة خاصة لتفتيش النساء حيث تقوم فتاتان تابعتان للنظام بتفتيش كل امرأة بشكل دقيق وبطريقة مستفزة ومهينة حيث يفتشون أنحاء جسم الفتاة وقد يجبرونها في بعض الأحيان على خلع الحجاب للتفتيش، كما يقومون بتفتيش الهواتف المحمولة وقراءة المحادثات والتدقيق على أبسط العبارات واعتبار أن الشخص الماثل أمامهم يتعامل مع الإرهابيين على حد زعمهم.

وقد يقوم الضباط المتواجدون على الحواجز بأخذ ما يحلو لهم من أغراض شخصية للمواطنين.

بالنسبة **للمسنين** يُمنع خروجهم حتى لتلقي العلاج رغم حاجتهم له ما لم يمتلكوا بطاقة وظيفة حكومية وعند الحديث مع العساكر بهذا الشأن يردون باستفزاز وتهكم، يُذكر أن ضابطاً على حاجز الفرن قال لرجل في السبعين من عمره " على شو رايح تتعالج ؟ ما باقيلك شي حتى تموت .. "!

ولم يسمحوا له بالخروج. وفي بداية شهر تموز للعام الحالي ٢٠١٤قاموا باعتقال رجل مسن مع زوجته كان خارجاً من الحي لعمل قثطرة قلبية .

يعاني **الموظفون** من صعوبة الخروج بسياراتهم الخاصة بسبب التفتيش المزعج للسيارات حيث يقوم الضباط بتفتيش كل أجزاء السيارة حتى المحرك الأمامي ويفككون العجلات والأبواب في بعض الأحيان وكذلك يفتشون أسفل السيارة، وهذا يسبب الإزعاج للموظفين و يقلل أيضاً من عدد السيارات الخارجة من حي الوعر بشكل كبير فقد كانت مئات السيارات تخرج من

الحي في نهاية العام ٢٠١٣ و حالياً يمنع خروج السيارات نهائياً إلا بموافقة أمنية مع صعوبة الحصول عليها.

وقد بدأت الأوضاع بالتفاقم بشكل سيء بعد إغلاق حاجز (المزرعة) الذي يعد الأقرب إلى الجزيرة السابعة والتي تتعرض للقصف الممنهج منذ شهر كانون الأول لعام 2013 و حتى اليوم، مما سبب صعوبة كبيرة في الخروج من الحي وأدى لاضطرار المواطنين عبور حوالي أربعة حواجز بدلا من اختصار الطريق وعبور حاجز واحد.

وبالنسبة لإدخال الغذاء يحضر الموظفون ما يكفي حاجتهم فقط و أي زيادة سيعود صاحبها أدراجه حتى يُرجع ما أحضره ، أو سترمى أمامه على الأرض بكل لا مبالاة !

كذلك يزداد التضييق حتى بالنسبة لإحضار المبالغ المالية ولو كانت بسيطة ، فقد مُنع مؤخراً موظف في إحدى المؤسسات من الخروج لأن بحوزته مبلغاً من المال خمسون ألف ليرة سورية فقط ، مع العلم أنه يملك الأوراق الرسمية التي تساعده على الخروج ، وقد كاد أن يصل الأمر إلى اعتقاله فقد طُلب منه مراجعة أحد الأفرع الأمنية، ولن يتمكن من العودة إلى حي الوعر قبل مراجعة ذاك الفرع.

وفي فترة الانتخابات الرئاسية أصبح التفتيش والتدقيق على أصابع الابهام لدى جميع العابرين من الحواجز ليتأكدوا أنهم قاموا بانتخاب بشار الأسد ومن لا يجدون على إصبعه أثر الحبر يهدد بالاعتقال ما لم يجد عذراً ينقذه في لحظتها.

أطفال الوعر لا يسمح لهم بمغادرة الحي ، فيتم إرجاعهم تحت سلطة القهر ، ولا يمكن خروجهم إلى أي مكان آخر إلا بموافقة أمنية تستغرق زمناً طويلاً وقد لا تصدر أبدا.

ثلاثة كيلو..

أخبرتنا سمر، وهي طالبة هندسة، عن مشاهداتها اليومية أثناء ذهابها للجامعة ومرورها على الحواجز، وحدثتنا طويلا عن مدى المعاناة التي يقاسيها الأهالي كل يوم، فالعناصر ينظرون للمارين على الحاجز بأنهم كائنات أقل مرتبة من البشر العاديين، أومجرد أشياء لاقيمة لها، فالعبث بأشيائهم وكرامتهم متاح لهم كما يشاء أي عنصر مهما علت أو صغرت رتبته، وطالما أن المدنيين هم الحلقة الأضعف هنا، تكون القسوة عليهم على أشدها، ويتجلى ذلك حين يضطر المواطنون لإدخال بعض الأطعمة التي يحتاجونها، فيشدد العناصر شروط إدخال الطعام، بحيث لايتجاوز وزن الأطعمة ثلاثة كيلو، وبحيث يسمح بباكيت دخان واحد، ولايسمح بإدخال الملح، أو الألبسة، ولكن الأهالي يتجاوزون صرامة القوانين أحيانا، فبعضهم يملك أطفالا صغارا ويضطر لإدخال كمية أكبر من المسموح بها لإشباع أطفاله، وهذا ما حصل مع أستاذ رياضيات أربعيني كان قد أدخل حوالي خمسة كيلو من الأطعمة ما جلب له سخط العناصر وشتائمهم ثم أمرهم له بالوقوف بالشمس إلى أذان المغرب هو ومن خالف القوانين مثله، وحين دخل الأستاذ الأربعيني أخيرا إلى الحي، أصيب بجلطة قلبية من جراء ما عانه، أدخل على إثرها المشفى ليتوفى لاحقا...

مجزرة الخضراوت واللحوم

حين يزداد تشديد الخناق على الأهالي الراغبين بإدخال بعض الأطعمة الضرورية لأسرهم عبر الحواجز، فيقوم العناصر حينها بمقايضة غير عادلة، فأما على من يرغب بالدخول للوعر، التخلي عن أكياس الطعام القليلة، أو العودة من حيث جاء، أو تحمل وقفة مذلة طويلة تحت الشمس، تنتهي غالبا برمي الأطعمة، حينها يختار الأهالي أهون الشرور، التخلي عن أغراضهم والعودة لأسرهم الذين ينتظرونهم في الحي، حيث يمشون إليهم وهم يدوسون على خضراوت ولحوم يفترض بها أن تكون على موائدهم...

اللبؤات

حين تود إحداهن الدخول لحي الوعر، وبعد أن يشاهد العناصر هويتها أو بطاقة عملها أو دراستها، يتم سوقها غالبا إلى غرفة صغيرة، فيها نساء مواليات للنظام، أو ما يسمى "لبؤات الأسد"، يقمن بتفتيش المواطنات بشكل دقيق جداً، للبحث عن أشياء تعتبرها القوات الحكومية ممنوعة، كالدخان والملح مثلا، ويتعذر النظام عن وضعه ل "اللبؤات" بأن بعض النساء قد قمن بتهريب السلاح في ثيابهن، لكن ذلك يبدو مستحيلا في ظل الاحتياجات المعيشية التي يحتاجها الأهالي وعدم حاجة المدنيين لاستخدام السلاح لأي هدف، "لقد وضعوا أيديهن حتى في غطاء رأسي"..تقول سمر وهي معلمة ثلاثينية، وتتابع "كانت من اللبؤات امرأة أربعينية، وأخرى صغيرة لم تتجاوز السابعة عشر من عمرها، وتلك الصغيرة كانت قاسية جدا في تعاملها مع النساء، حيث انهالت بالشتائم والإهانات على امرأة تجاوزت الستين بسبب حيازتها بعض الدخان، ولم تعبأ بدموع المرأة العجوز ولا بتوسلاتها المضنية أن تسكت عنها هذه المرة، وأن لا تأخذها إلى الضابط، لكنها لم تصغ إليها، بل ساقتها من يدها بقسوة إلى الضابط، وتابعت صراخها وشتائمها على المرأة العجوز التي بالكاد استطاعت أن تمشي..وبالمقابل، كانت اللبؤة الأخرى أخف قسوة!..

ثالثاً: الاعتقالات بدون ذنب

تستمر الاعتقالات التعسفية على حواجز حي الوعر وحواجز بقية المناطق في حمص على الرغم من أنّ كل من يمر خلالها لديه بطاقة موظف أو بطاقة طالب يستخدمها للسماح له بالعبور، لكن ذلك لا يمنع دون احتمالية اعتقال أي شخص لأسباب لا يمكن تحديدها في معظم الأحيان، وإذ تعتبر الأسرة محظوظة إذا عرفت مكان ابنها بعد اعتقاله إلا أنّ كثيرين لا يتوصلون حتى لهذه المعلومة بعد اعتقاله من على الحواجز.

غدروا بابني

لم تستطع والدة جابر التحرك لاستقبالنا حين زرناها لسماع شهادتها، فهي مريضة منذ سنتين بمرض في حوضها يمنعها من الحركة، كانت تضرب على ركبتيها مرارا وهي تتحدث عن غياب ابنها وهو معيلها الوحيد بعد وفاة زوجها وسفر بقية أبنائها، والآن وجدت نفسها وحيدة ومضطرة للاعتناء بأربعة أطفال أصبحوا بلا أم ولا أب، فالأم متوفاة والأب في المعتقل، "إنهم غدارين ياخالة، غدارين..، هو ذهب لهم بقدميه، لقد وثق بهم! وثق بالغدارين!"...كان ماجد قد فقد زوجته منذ ثلاثة سنوات، وحين خطبوا له ابنة عمه، كان عليه أن يحضرها من حي الإنشاءات، فقرر أن يجازف ويذهب ليتحدث للعقيد على حاجز يحيط بالحي، فهو لم يحمل سلاحا ولم يشارك بالحراك منذ بدايته، وما من سبب يدعوهم لاعتقاله، كما كان يقول لوالدته، وإذ وصل حسن للعقيد وكان يصطحب ابنه، قال للعقيد: بأن والدته مريضة وأنه مضطر للنزول لإحضار ابنة عمه من حي الإنشاءات ليقترن بها وتساعده على رعاية أبنائه ووالدته، أخبره العقيد "بابتسامة" بأنه يسمح له بالخروج طبعا، وما عليه سوى أن يحضر أوراقا تثبت مرض أمه وسيخرج فورا من بعدها، وحين أحضر الأوراق المطلوبة، قام عناصر الحاجز باعتقاله بعد أن وُعد سابقا بأنه سيسمح له بالخروج، كان ابن جابر ينظر لوالده وهو يُضرب مرارا من قبل عناصر الحاجز وهم يعتقلونه ويكبلون قديمه، قبل أن يصرخ الأب بابنه ليعود ويخبر جدته بالذي حصل بأبيه، ترتجف عينا الطفل هلعا وهو يسمع حديث جدته عن تلك اللحظات المرعبة التي عاشها الطفل حين هرب راكضا من الحاجز حيث اعتقل أباه عائدا إلى البيت الصغير ليخبرهم بما حلّ بوالده، "كسروا ظهري يا خالة..كسروا ظهري..لقد وثق بهم!..وثق بالغدارين!.."

لاترجع!..

من بين الدموع الغزيرة، روت أم عادل قصة اعتقال ابنها من على أحد حواجز الوعر، حيث ذاقت مرارة فقدانه مرتين، منذ أن كان محاصرا في حمص المحاصرة، إلى اعتقاله أخيرا على الحاجز..

"قلنا له لا ترجع!..لاترجع!..لم يرد!"، كان عادل قد خرج من حمص المحاصرة بتسوية مع النظام، حيث أودع مدرسة الأندلس ومن هناك كان يتواصل مع والدته ويطلب منها أن تيسر له من يساعده بالخروج من المدرسة، "لكننا لا نملك مالا يكفي"..قالت الأم، اتصل عادل ذات يوم بوالدته وأخبرها بأنه استطاع تأمين مبلغ صغير وسيعطيه لجماعة ستنقله إلى حي الوعر، رفضت الأم ذلك وقالت إن الوضع في حي الوعر غير مستقر وهناك العديد من الحواجز، لكنه أراد الرجوع للوعر، وقبل شهر ونصف "اتصلوا بي وقالوا إن عادل في طريقه إليكِ الآن للوعر، كنت خائفة وسعيدة، جلست على باب المنزل أنتظره..العصر..المغرب..العشاء..لم يظهر..لقد أخذوه..أخذوه..كان عليه أن يستمع لنا!! قلنا له مرارا و لكنه لم يرد قلنا له..لاترجع!!..

كائس من الشاي..

كشف أحمد عن جرح كبير في يده جراء نوبة غضب انتابته بعد اعتقال أخاه على الحاجز، فأخوه "شاب صغير لم ير شيئا من الدنيا بعد"..كان ذلك حين تم توزيع الغاز غير المتوافر في الحي على أحد الحواجز، ما اضطر النساء للذهاب إلى الحواجز وإحضار جرات الغاز من هناك، حيث تخشى النساء إرسال أزواجهن وأبنائهن خشية الاعتقال، وحين استلمت والدة أحمد جرة الغاز بعد انتظار مضن طويل، لم تقو على حمل الجرة بسبب ثقلها، فاتصلت بابنها الصغير الذي لم يتجاوز السادسة عشرة من العمر ليساعدها، وما إن رأوه عناصر الحاجز، حتى نادوه وسحبوه عنوة من ذراعي أمه، "كان ينتظر جرة الغاز ليشرب كأس شاي من دون انتظار مجيء الكهرباء ليشعل "السخانة"، أو من دون أن يتلوث بالفحم والنشارة" قال أحمد، وبيده فأس صغيرة كان يستخدمها أخوه المعتقل لتقطيع الأخشاب...

انزلي وحدكِ..وحدك فقط..

يصمت الأب طويلا قبل أن يبدأ بالكلام ويمنع دمعة صغيرة أن تنهمر أمام ابنتيه الصغيرتين، ولا يكمل معظم كلماته بسبب حزنه الكبير منذ اختفاء زوجته أثناء ذهابها إلى عملها في باص للموظفين، واعتقالها من على حاجز طيار على طريق حماة من قِبل عناصر تابعين للقوات الحكومية يرتدون زيّا مدنيا وآخرون زيّا عسكريا، أمروها بالنزول وحدها من باص الموظفين، بعد تفتيش هويات الراكبين، ليتلقى الزوج صدمة اعتقالها صباح يوم الثلاثاء، المصادف حينها لعيد ميلاد ابنته، كما أخبرنا أحمد، الذي لم يملك سوى أن يطرح تساؤلات لم نستطع إجابته عنها، عن كيفية إمضائها رمضان، والعيد بعيدا عنه، وعن ابنتيها، وعن مدى الرعاية الطبية التي تتلقاها، حيث علم بتدهور حالتها الصحية، وعن الأسباب التي تدعوهم لاعتقال امرأة وأم تجاوزت الأربعين، ويضيف بأنه احتمل النزوح المتكرر من بيت لبيت منذ هروبهم من حي جورة الشياح منذ سنتين ونصف بعد تعرضه لقصف القوات الحكومية وانتقالهم للعيش في حي المحطة الواقع تحت سيطرة النظام، لكن الذي لن يحتمله، غياب زوجته ووالدة طفلتيه الصغيرتين، اللتين انتقلت إليهما عدوى البكاء، ما دفع الأب لأخذهما والرحيل.

نزهة إلى المجهول

ترتجف المسبحة الخشبية البنية اللون في يد أم توفيق هي تتحدث عن اختفاء ابنها، وتتسارع مرور الحبات بين أصابعها وهي تستذكر قصة اعتقاله من حي كرم الشامي على إحدى الحواجز المتواجدة على أطراف الحي، لتتوقف أصابعها عن الحركة، وتبدأ بالحديث عن كيفية اختفاء ابنها الذي كان سببه ذهابه في نزهة مع شاب خرج مؤخرا من حمص القديمة بعد تسوية أوضاعه مع القوات الحكومية، حيث تمت رؤية ابنها أكثر من مرة يتحدث مع ذلك الشاب ويمشي معه، ما أدّى أخيرا لاعتقال ابنها أثناء ذهابه للعمل على بسطته الصغيرة، وتضيف والدة توفيق، بأنها ندمت أنها لم تهرب من كامل المدينة بل من كامل سورية، فالهم يلاحقهم أينما ذهبوا، منذ نزوحهم الأول من الخالدية بعد قصفها من النظام وحتى نزوحهم الأخير إلى حي كرم الشامي، وهاهو شمل أسرتها قد تشتت بعد هروب اثنين من أولادها إلى الأردن وآخر إلى الريف، وآخر إلى المعتقل حيث ينتظره مصير مجهول لايعلم به إلا الله"، وإذ تبدأ بالبكاء، تمسح دموعها عن خديها المتجعدين بطرف كمها، لتعود حبات المسبحة مجددا للتسارع بين أصابعها.

رابعاً: منع التنقل والحركة للناس والبضائع

بعد أن حوصر حي الوعر منذ أكثر من سنة، وأغلقت الطرق منه وإليه في معظم الأحيان، أصبح على كل من يريد الخروج من الحي أن يجتاز أربعة حواجز للقوات النظامية، ، حيث نجد بعض العناصر يرتدي زياً عسكرياً وآخر مدنياً، وآخر نصف مدني ونصف عسكري، وتتباين طريقة تعاملهم مع المواطنين وفقا لطباع كل منهم حيناً، ووفقا لأهوائهم حينا آخر، حيث ينتمي كل حاجز من الحواجز الأربع لفرع أمني محدد، وبالتالي كل من الحواجز لديه تعليمات مختلفة، ومعلومات مختلفة، لذلك، فالمواطن يمكن أن يمرّ عبر الحاجز الأول، لكنه لن يسمح له بالمرور عبر الحاجز الثاني، أو يمكن أن يسمح له بإدخال طفله الصغير عبر الحاجز الأول والثاني، لكن الحاجز الثالث يمنعه وهكذا.

اجعلوها تبتسم

لم ترض شيماء أن تنطق بكلمة واكتفت بالصمت والتطلع بالأرض بكآبة، كانت ترتدي أساور وخاتمين ذهبيين أهداهما خطيبها لها، طلبنا من الأم التحدث نيابة عنها، أخبرتنا الأم بأن ابنتها أصبحت كئيبة ونادرة الكلام منذ أن تأجل زفافها عدة مرات بسبب منع الحواجز لها بالخروج خارج الوعر حيث ينتظرها خطيبها وأهله في حي الإنشاءات، كانت شيماء فتاة جميلة في أوائل العشرينيات، وكانت قد حاولت مرارا الذهاب للحاجز في محاولة لإقناعهم للسماح لها بالخروج لكنهم أصروا على رفضهم وطردوها، وهي الآن تخشى أن يتركها خطيبها وتبقى حبيسة الحي هنا للأبد"، كما تقول أمها، طلبت منا الأم أن نحاول إقناع ابنتها بأن الحال لا بدّ أن يتحسن وسيسمح للأهالي بالتنقل، "اجعلوها تبتسم" قالت لنا الأم، لكن الابنة رفضت الاستجابة، وأصرّت بأن كل شيء حولها أسود، وسيبقى طويلا كذلك".

إنه ذنبي

" إنه ذنبي.. اختلفت مع حماتي وجئت أزور أهلي هنا!" لم يخطر لي أني سأحرم أطفالي كل تلك الشهور...كانت سلوى قد جاءت من قرية تير معلة في ريف حمص الجنوبي لزيارة أهلها في حي الوعر منذ سنة وشهرين بعد مشاكل عائلية مع أسرة زوجها، حيث تركت أطفالها الثلاثة في عهدة زوجها وأسرته ريثما تنتهي الزيارة، لم يخطر لها أنها ستحرم من رؤيتهم كل تلك الشهور بسبب تعنت الحواجز ومنعهم لها من العودة لديارها وأسرتها، وأنّ زيارتها لأهلها ومشكلتها مع أسرة زوجها ستتحول لسجن قسري كبير، حُرمت الخروج منه للقاء أطفالها، تكورت حول نفسها وهي جالسة على بساط خشن صغير وقالت لنا وهي تستذكر أطفالها بأن أصغرهم أنهى حفظ جزء عمّ، وقد حضرت له مبلغا صغيرا ليشتري به دراجة كما وعدته، ثم أسمعتنا صوته وهو يقرأ" إنه ذنبي! أضافت،...لم يخطر لي أن أحرم منهم هكذا.

قلب الأم

استلزمنا وقت طويل لنقنع الخالة أم هيثم، أننا لن نستطيع مساعدتها للخروج من حي المحطة وصولا لحي الوعر، وهذا خارج عن نطاق عملنا، "اشتقت لها..اشتقت لابنتي..سنتان!! سنتان لم أرها.."، كانت أم هيثم قد عادت مؤخرا من الأردن لمدة محدودة لرؤية أحفادها وابنتها في حي الوعر، ورغم أنها تعاني من أمراض القلب والضغط والسكري، إلا أنها أصرّت على العودة للاطمئنان على أسرة ابنتها.."قلب الأم يا خالة..قلب الأم!".لكنها حين وصلت إلى مشارف حي الوعر، قام عناصر الحاجز بإعادتها ولم يسمحوا لها بالدخول، ما اضطرها للعودة إلى حي المحطة، حيث بقي لها أقل من أسبوع لترجع للأردن، وليس أمامها سوى الدعاء المتواصل وطلب العون من أي شخص يستطيع تليين قلب العناصر وإدخالها!..

اكتبي له رسالة أو عايديه بالهاتف!..

خرجت سلوى منذ ثلاثة أشهر للعلاج خارج الوعر، بعد أن أمنت ورقة تسمح لها بذلك، لتتفاجأ أنها حين حاولت دخول حي الوعر، منعت من العودة لزوجها وأطفالها، لكنها ظلت مواظبة على العودة والمحاولة، "آخر مرة حاولت الدخول كان قبل العيد بيومين، قلت لهم أريد أن أكون مع أسرتي في العيد..أريد أن أقول لزوجي كل عام وأنت بخير..." لكن العناصر منعوها مجددا من الدخول وطلبوا منها هازئين أن تكلمه عبر الهاتف أو تكتب له رسالة...

الصورة رقم (٢) جندي من عناصر النظام على أحد الحواجز قرب حي الخضر

خامساً: القنص والقتل العشوائي

حين تريد أن تقطع شوارع حي الوعر، لا سيما تلك المطلة منها على بساتين الحي الواقعة تحت سيطرة النظام، عليك أن تضطر أن تعبر ركضاً، أو بشيء من الهدوء المليء بالقلق خوفاً من طلقة غادرة قد يطلقها أحد القناصين المتمركزين في البساتين، وغير ذلك من المباني الحكومية والأبراج العالية والأبنية الواقعة تحت سيطرة النظام، مما يجعل إحصاء العدد الحقيقي للقناصين المتربصين بالأهالي صعب المنال، لكن مواطني الحي باتوا يعرفون الشوارع المطلة على القناصين تماماً، بل يعرفون أوقات نشاط القناصين، ويتحايلون عليهم حين يريدون أن يقطعوا الشوارع التي يطلون عليها، تارة يقطعونها بالركض، وتارة بالمشي بهدوء من دون استثارة انتباه قناص، قد يكون غارقا في غفوة!، وإذ تمرّ أوقات يعيش فيها أهالي الحي في حالة من الهدوء، ومن صمت القذائف، يستلم في كثير من الأحيان القناصون مهمة إقلاق أمن أهالي، وتهديد أرواحهم، وقد روى الأهالي الكثير من القصص التي توفي أصحابها نتيجة رصاصة قناص غير متوقعة.

ولعل أبرز القناصين في حمص يتمركزون في ذلك البرج المعروف ببرج الغارديني والذي أطلق عليه اهل حمص اسم برج الموت، حيث يصل علوه إلى ثماني وعشرين طابقا، ويطل على مدينة حمص بأكملها وصولا إلى بعض القرى المحيطة بالمدينة، ورغم أن بناء البرج لم يكتمل، إلا أنه النظام دججه بالمتاريس والقناصين والرشاشات والأسلحة الثقيلة، ليصبح مواطنو المدينة تحت ظل موت يقبع في بندقية قناص، أو قذيفة هاون، أو طلقة شيلكا، وبعد أن خرج الثوار المسلحون من المدينة القديمة، بات حي الوعر الأكثر استهدافاً من برج الكاردينيا، سواء بالقنص أو بالقذائف أو بطلقات الشيلكا اليومية، حيث يشعر الناظر إليه من بعيد، أنه على موعد مع الموت في أي لحظة.

غاصت يدي في قلبه

لم يكن مضى على وفاة ثائر سوى ثلاثة أيام حين زرناهم لسماع شهادتهم، كانت آثار الدماء والدمار مازالت واضحة على درج البناء الضخم وغير المكسو بشكل تام، وكان برج الكاردينيا يبدو جليا من نوافذ المنزل الذي يقع في الطابق الرابع لبرج ضخم في حي الوعر، تحدث لنا الجيران عن معاناتهم من البرج، وكيف أنهم لايجرؤون أن يشعلوا ضوءا في الليل في الغرف المطلة على البرج، ولا حتى أن يخرجوا للشرفات لأخذ النفس، كما قالت جارة أهل ثائر التي كانت حاضرة يوم وفاته، حيث كان ثائر مصابا بشظايا هاون في السابق في قدميه وأصبح يتحرك بصعوبة، وحين بدأ البرج بإطلاق القذائف وطلقات الشيلكا، حاول أن يختبئ في مكان آمن، وبسبب حركته البطيئة غافلته الطلقة ودخلت صدره حيث "كان بإمكان المسعف أن يرى جزءا من قلبه وهو ينبض..وكان بإمكان يدك أن تغوص بعيدا في أحشائه..." تقول جارة ثائر وعيناها ساهمتان نحو برج الموت القابع بقسوة في البعيد.

العريس

كان عمّ سليم يستعرض لنا صور ابن أخته على هاتفه النقال فخورا بجماله وبالنور الذي يشع من وجهه كما قال، فالشاب العشريني، "كان مرْضيّا لأهله وطيبا، والكل يحبه ويحلف برأسه"..أشار العم لنا إلى صورة قديمة لسليم وهو طفل ثم تابع: "قلنا له صلّ التراويح بالبيت، لكنه لم يرض، وأصر الذهاب لصلاة التراويح في الجامع، المسكين، قنصوه غدرا في رأسه وهو ذاهب إلى الجامع، أهله إلى الآن لم يستوعبوا موته، لكني أقول لهم دائما "نياله" هو الآن عريس في الجنة"...

ليتنا بقينا في العتمة

كانت زوجة نادر تلملم بعض الشاش والقطن الذي مازال عليه آثار الدماء، وكانت رائحة المعقمات تملأ الغرفة حيث يقبع في ركنها نادر الذي أصابته طلقة قناص في فخذه أثناء محاولته مدّ شريط الكهرباء المقطوع عن بنائه، ورغم كل تحذيرات الأسرة له بعدم الذهاب إلى جانب السرايا حيث تطل على اكثر من قناص، إلا أنه أصرّ على الذهاب هناك متذرعا بأنه يعرف الاختباء من القناص، وما إن بدأ العمل حتى شعر بأن شيئا ما وخزه في فخذه وبأن قدمه طارت صدمت خلف رأسه من شدة قوتها، "كانت رصاصة عيار ١٤.٥"، حين نقل نادر إلى المشفى كانت الأوردة والشرايين في فخذه بغالبها مقطعة، وبسبب ضيق الامكانيات استطاعوا وصلها بصعوبة، لكنهم اضطروا مؤخرا إلى بتر قدمه من الركبة بسبب بدء انتشار الغانغرينا، كانت زوجة نادر تنظر إليه بحرقة وهو نائم مثل الأطفال، وكانت تتمتم مرارا وتقول "ليتنا بقينا للأبد في العتمة، ولم يفقد زوجي ساقه".

الصورة رقم (٣) أهم الشوارع التي تتعرض لنيران قناصة النظام في حي الوعر

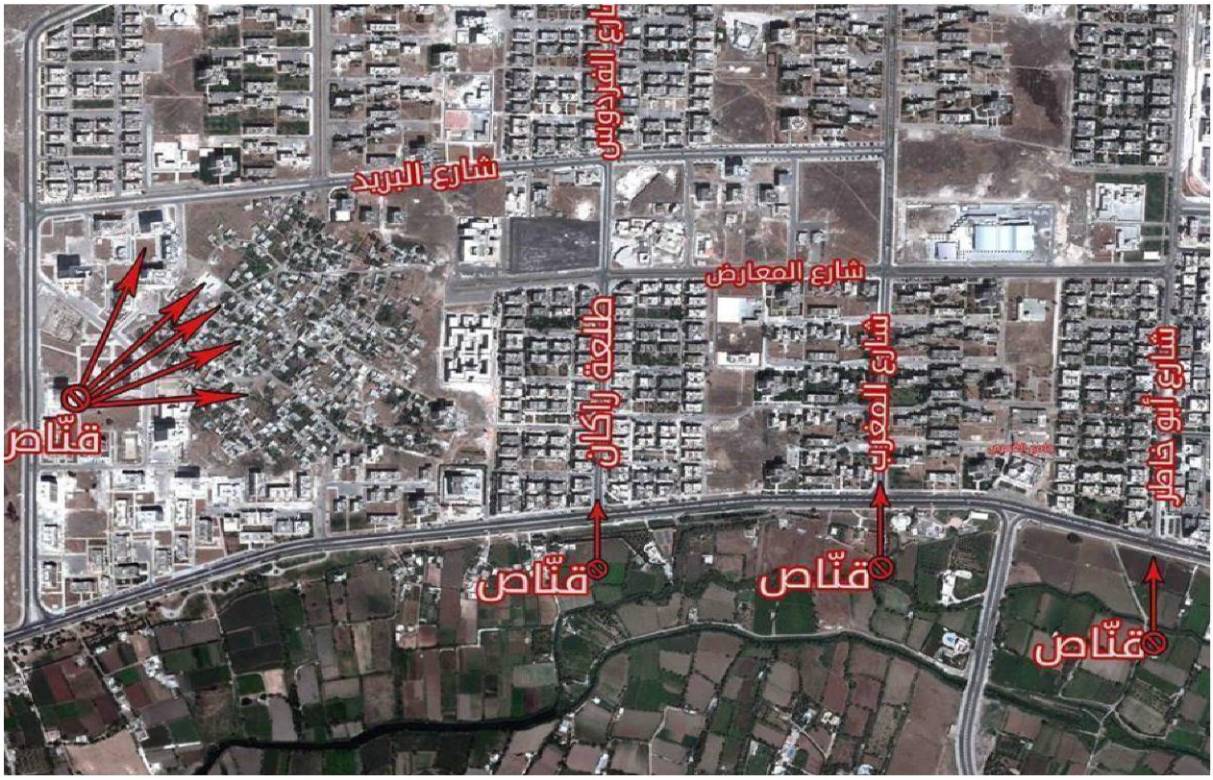

سادساً: التوصيات

رغم خروج المقاتلين المعارضين من المنطقة المحاصرة في حمص، لاتزال حواجز النظام منتشرة في مختلف أنحاء المدينة، تمارس القتل والاعتقال التعسفي وإهانة الناس، بالإضافة للسرقة ومنع حركة الناس والسلع، ومدينة حمص كلها اليوم تعاني من هذه الحواجز بدون استثناء وإن كان الحمل فيما يبدو أكثر ثقلاً على منطقة الوعر التي تخضع لمنع تام في حركة الناس المدنيين، ومنع إدخال الطعام والمواد إلا بكميات ضعيفة وفي أوقات طويلة للغاية.

١. إن فريقنا يؤكد أن ما تقوم به هذه الحواجز، هو انتهاك صارخ لحقوق الأدمية والبشرية للمدنيين السوريين الذين يعيشون في مدينة حمص، وتؤكد على ضرورة سحبها أو وقف عمليات الاعتقال والقتل والإهانة وغيرها على تلك الحواجز.
٢. وفي ظل الظروف الصعبة للتنقل والحركة وإدخال ما يلزم الناس للعيش، فمن الضرورة أن تمارس المؤسسات الإنسانية دورها في إدخال المساعدات الإنسانية اللازمة للمناطق في مختلف أنحاء المدينة وعلى رأسها حي الوعر، وكذلك مساعدة الجرحى على تلقي العلاج العاجل والفوري.
٣. إدراج العمليات التي يرتكبها النظام في حي الوعر من حصار وتجويع وقصف بأسلحة ثقيلة وقنص واعتقال، تحت بند جرائم ضد الإنسانية وجرائم الإبادة ومعاقبة المسؤولين عنها بأسرع وقت.
٤. بذل مزيد من الجهد للضغط على النظام لتحييد المدنيين، وإيقاف القصف بكافة أشكاله والاعتقال والإهانة و بشكل عاجل وفوري.

كما يتمنى الفريق أن تضطلع كافة الجهات الدولية بشعور أكثر مسؤولية، وبحس أعلى اتجاه ما يحصل للمدنيين في سورية.

---------- انـــــــــتـــــــهـــــــــى----------